

الأدب

عنوان السعادة

قطوف من الآداب اللطيفة، والأخلاق الشريفة

بقلم

صالح بن عبد العزيز بن عثمان سِنْدِي



الأدب عنوان السعادة

قطوف من الآداب اللطيفة، والأخلاق الشريفة



الأدب

عنوان السعادة



بقلم

صالح بن عبد العزيز بن عثمان سدي

المقدمة

الحمد لله العزيز الوهاب، الرحيم التواب، أحمدته على ترادف
آلائه وحسن بلائه، وأصلي وأسلم على خاتم أنبيائه وصفوة
أوليائه، وعلى آل بيته الطاهرين، وعلى أصحابه المنتخبين، ومن
تبعهم بإحسان إلى يوم الدين.

اللَّهُمَّ اهدنا لأحسن الأخلاق لا يهدي لأحسنها إلا أنت،
واصرف عنا سيئها لا يصرف عنا سيئها إلا أنت، أما بعد:

فإن الحديث في هذه الأوراق عن مبنى كريم، ومعنى
عظيم، ممدوح بكل لسان، متزيّن به في كل مكان، وباقٍ ذكُره
على مر الأزمان.

إنه الأدب، دعامة الألباب، وحلية الأحساب، والوسيلة إلى
كل فضيلة، والذريعة إلى كل شريعة.

جامعة المحامد والفضل، والناهي عن كل قبيح وجهل.

أنواع الأدب

الأدب ثلاثة أنواع:

١- أدب مع الله تعالى.

٢- وأدب مع نبيه صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ .

٣- وأدب مع الخلق.

أما الأدب مع الله سبحانه: فإنه إيقاع كل ما يقرب إليه
جل وعلا من الأعمال الظاهرة والباطنة على مقتضى التعظيم
والإجلال والحياء.

فهو كمال التوحيد، ولُبُّ التحقيق والتفريد.

أما الأدب مع النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: فهو إلزام النفس باتباعه
في كل دقيق وجليل، وعدم التقدم بين يدي سنته صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ
بقول أو فعل أو رأي أو هوى.

أما الأدب مع الخلق: فإنه معاملتهم بمكارم الأخلاق،
ومحاسن الشيم، وإنزالهم منازلهم على ما يليق بهم.

إنه كما قالوا: الاتصاف بالأخلاق الجميلة، والاحتراز عما يقابلها من سفاسف الأمور.

وإن شئت فقل: هو استعمال ما يُحمد قولاً وفعلاً، واجتناب ما يُعاب به.

وهذا النوع هو محور الحديث في هذه الوريقات.

وهذه الآداب الكريمة السامية مستمدة من جهتين:

◀ من الشرع الحنيف.

◀ وأيضاً من العرف، وما تواضع عليه الناس في مجتمعاتهم من المحاسن والمكارم، وما اصطلحوا عليه من المواضع والهيات الجميلة الرائقة؛ مما تستحسنه العقول وتقبله الفطر.

والآداب الشرعية - في الجملة - تتراوح بين ما يجب الأخذ به، وما يُستحب التحلي به ويقبُح تركه.

ولا شك أن المرء إذا أخذ نفسه باستعمال هذه الآداب،
وروّضها على القيام بمقتضاها - حتى صارت له كالعادة
الراسخة - فقد حسّن دنياه، وحصّن عُقباه.



فضل الأدب والخلق الحسن

إن أدب المرء عنوان سعادته وفلاحه، وقلة أدبه عنوان شقاوته وبواره، فما استُجلب خير الدنيا والآخرة بمثل الأدب، ولا استُجلب حرمان خيري الدنيا والآخرة بمثل قلة الأدب.
 إِنَّ مَنْ كَثُرَ أَدَبُهُ: شَرُفَ وَإِنْ كَانَ وَضِيعًا، وَسَادَ وَإِنْ كَانَ غَرِيبًا، وَبَعُدَ صَيْتُهُ وَإِنْ كَانَ خَامِلًا، وَكَثُرَتْ الْحَوَائِجُ إِلَيْهِ وَإِنْ كَانَ مَقْتَرًا.

إن تكميل الآداب وتهذيب الأخلاق لمن مقاصد شريعة النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الذي قال: (إنما بُعثت لأتمم صالح الأخلاق) ^(١)، وفي رواية: (إنما بُعثت لأتمم مكارم الأخلاق) ^(٢).

ولذا كان جميل الأدب وحسن الخلق هديّه وشأنه عليه الصلاة والسلام، كيف وقد مدحه الله جل وعلا في قوله:

﴿وَأِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾ [القلم:٤]

(١) أخرجه أحمد في مسنده (١٤/ ٥١٢) ح ٨٩٥٢. والبخاري في الأدب المفرد (ص: ١٠٤) ح

٢٧٣، باب حسن الخلق.

(٢) السنن الكبرى للبيهقي (١٠/ ٣٢٣) ح ٢٠٧٨٢.

وكان من دعائه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في استفتاح قيام الليل:
(اهدني لأحسن الأخلاق، لا يهدي لأحسنها إلا أنت، واصرف
عني سيئها لا يصرف عني سيئها إلا أنت) (١).

وفي الصحيحين عن أنسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: (كان رسولُ الله
صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أحسنَ الناس خُلُقًا) (٢).

ولا شك أن المسلم الذي يُلْزِمُ نَفْسَهُ بِاتِّبَاعِ مَكَارِمِ الْأَخْلَاقِ
وَمَحَاسِنِ الْأَدَابِ مَتَّبِعٌ لَهُ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ.

ولذا كان ذُو الْخُلُقِ الْحَسَنِ حَبِيبَ الْخَلِيلِ مُحَمَّدٍ
صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فعند الترمذي عنه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أنه قال:
(إِنْ مِنْ أَحَبِّكُمْ إِلَيَّ وَأَقْرَبِكُمْ مِنْكُمْ مِنِّي مَجْلِسًا يَوْمَ
الْقِيَامَةِ أَحْسَنَكُمْ أَخْلَاقًا) (٣).

ولا غرو بعد هذا أن يكون ذُو الْخُلُقِ الْحَسَنِ أَكْمَلَ النَّاسِ
إِيمَانًا؛ فعند الترمذي وغيره عنه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أنه قال: (أَكْمَلَ الْمُؤْمِنِينَ
إِيمَانًا أَحْسَنَهُمْ خُلُقًا) (٤).

(١) أخرجه مسلم (٥٣٤/١) ح ٧٧١.

(٢) أخرجه البخاري (٤٥/٨) ح ٦٢٠٣، ومسلم (٤٥٧/١) ح ٦٥٩.

(٣) سنن الترمذي (٣٧٠/٤) ح ٢٠١٨، باب ما جاء في معالي الأخلاق.

(٤) سنن الترمذي من حديث أبي هريرة (٤٥٨/٣) ح ١١٦٢، باب ما جاء في حق المرأة
على زوجها، وأخرجه في موضع آخر من حديث عائشة (٩/٥) ح ٢٦١٢، باب ما جاء في
استكمال الإيمان وزيادته ونقصانه. وأبو داود (٢٢٠/٤) ح ٤٦٨٢، باب الدليل على زيادة
الإيمان ونقصانه.

إن الخلق الحسن هو البر، وهو معيار الخيرية؛ ألم تسمع إلى قوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: (إن من خياركم أحاسنكم أخلاقاً)^(١)، وقوله: (البر حسن الخلق)^(٢)!؟

وإن الأدب الرفيع والخلق الكريم عملٌ عظيم يضارع الصيام والقيام؛ فقد قال نبينا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: (إن المؤمن ليدرك بحسن خلقه درجة الصائم القائم)^(٣).

بل الخلق الحسن من أثقل الأعمال في الميزان؛ قال صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: (ما من شيء أثقل في ميزان العبد يوم القيامة من حسن الخلق)^(٤).

كما أنه ليس يخفى أن حسن الخلق سبب دخول الجنة، بل هو من أعظم أسباب دخولها؛ فقد سُئِلَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عن أكثر ما يُدخِل الناس الجنة، فقال: (تقوى الله، وحسن الخلق)^(٥).

(١) أخرجه البخاري (١٣/٨) ح ٦٠٣٥، باب حسن الخلق والسخاء، وما يكره من البخل. ومسلم (٤/١٨١٠) ح ٢٣٢١، باب كثرة حياءه صلى الله عليه وسلم.
 (٢) أخرجه مسلم (٤/١٩٨٠) ح ٢٥٥٣، باب تفسير البر والإثم.
 (٣) سنن أبي داود (٤/٢٥٢) ح ٤٧٩٨، باب في حسن الخلق.
 (٤) أخرجه الترمذي (٤/٣٦٢، ٣٦٣) ح ٢٠٠٢، ٢٠٠٣، باب ما جاء في حسن الخلق، وأبو داود (٤/٢٥٣) ح ٤٧٩٩، باب في حسن الخلق.
 (٥) أخرجه الترمذي (٤/٣٦٣) ح ٢٠٠٤، باب ما جاء في حسن الخلق.

بل إنه ليرتقي بصاحبه إلى أعلى المنازل وأشرف المجالس،
وفي الحديث الذي ذكر آنفا: (إن من أحبكم إلي وأقربكم
منكم مني مجلساً يوم القيامة: أحاسنكم أخلاقاً)؛ فأئني
مجلس في الجنة أشرف من مجلسه عليه الصلاة والسلام!؟
فهنيئاً لصاحب الخلق الحسن.

ومن فضل الخلق الحسن: أن صاحبه موعود ببيت في أعلى
الجنة؛ فقد قال صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: (أنا زعيم ببيت في ربض الجنة لمن
ترك المراء وإن كان محقاً، وبيت في وسط الجنة لمن ترك الكذب
وإن كان مازحاً، وبيت في أعلى الجنة لمن حَسُنَ خَلْقُهُ) (١).

ومما يدل على أهمية الأدب ورفعة شأنه في هذا الدين:
ما جاء -كثيراً- عن أهل العلم -سلفاً وخلفاً- من الحض
عليه، والحث على الأخذ به.

(١) سنن أبي داود (٢٥٣/٤) ح ٤٨٠٠، باب في حسن الخلق. وسنن الترمذي
(٣٥٨/٤) ح ١٩٩٣، باب ما جاء في المراء. وسنن ابن ماجه (١٩/١) ح ٥١، باب
اجتناب البدع والجدل.

ولك أن تعلم أنهم كانوا يتعلمون الأدب كما يتعلمون العلم، بل قد يقدمونه على العلم أو على كثير منه؛ فعن ابن المبارك - رَحِمَهُ اللهُ - أنه قال: قال لي مخلد ابن الحسين: (نحن إلى كثير من الأدب أحوج منا إلى كثير من الحديث) (١).

وفي رواية: (نحن إلى قليل من الأدب أحوج منا إلى كثير من الحديث) (٢).

وعن ابن سيرين - رَحِمَهُ اللهُ - أنه قال: (كانوا يتعلمون الهدى (٣) كما يتعلمون العلم) (٤).

وعن إبراهيم بن حبيب بن الشهيد قال: (قال لي أبي: يا بُني: أتت الفقهاء والعلماء وتعلم منهم، وخذ من أدبهم وأخلاقهم؛ فإن ذلك أحب إلي من كثير من الحديث) (٥).

(١) الجامع لأخلاق الراوي وآداب السامع (٨٠/١).

(٢) المحدث الفاضل بين الراوي والواعي للرامهرمزي (ص: ٥٥٩).

(٣) أي السلوك والأخلاق.

(٤) الجامع لأخلاق الراوي وآداب السامع (٧٩/١).

(٥) المرجع السابق (٨٠/١).

ويقول القرافي - رَحِمَهُ اللهُ - في كتابه (الفروق): (قال رويُّ لابنه: (يا بني: اجعل عملك مِلْحًا، وأدبك دَقِيقًا)، أي استكثر من الأدب حتى تكون نسبته في الكثرة نسبة الدقيق إلى الملح.

وكثيرٌ من الأدب مع قليل من العمل الصالح خيرٌ من كثير من العمل مع قلة الأدب) (١).



(١) أنوار البروق في أنواع الفروق (٩٦/٣).

بين العقيدة والأخلاق

هذا وإن من اهتمام العلماء بهذا الموضوع أنهم قد يدرجون الآداب والأخلاق ضمن مباحث العقيدة.

ولقد حفلت جملة من المصنفات بإيراد جملة من الكلام الطيب الحسن في الحث على الآداب والأخلاق ضمن مباحث الاعتقاد عند أهل السنة والجماعة، كما تراه عند الإمام أبي عثمان الصابوني -رَحْمَةُ اللَّهِ- في كتابه (عقيدة السلف وأصحاب الحديث)، وكما تجده عند المزي -رَحْمَةُ اللَّهِ- في كتابه (شرح السنة)، وكما تجده عند الإسماعيلي -رَحْمَةُ اللَّهِ- في كتابه (اعتقاد أئمة الحديث)، وإلى شيخ الإسلام ابن تيمية -رَحْمَةُ اللَّهِ- في (العقيدة الواسطية).

بل عَقَدَ الإمام ابن بطة -رَحْمَةُ اللَّهِ- في كتابه (الشرح والإبانة) فصلاً طويلاً سرد فيه جملة من الآداب النافعة. وهذا إذا تأملته وجدته مسلكاً راشداً، راجعاً إلى أسباب وحكم عدة، منها:

◀ التأكيد على أن الإيمان قول وعمل، وأن الأخلاق الحسنة ثمرة عملية للعقيدة الصحيحة. ألم تلاحظ هذه الإشارة اللطيفة في كلام النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حينما سأله عمرو بن عبسة -رَضِيَ اللهُ عَنْهُ-: (ما أنت؟ قال: أنا نبي، فقلت: وما نبي؟ قال: أرسلني الله، فقلت: بأي شيء أرسلك؟ قال أرسلني بصلة الأرحام وكسر الأوثان وأن يوحد الله لا يشرك به شيء) (١). فلاحظ الاقتران بين التوحيد والأخلاق: (صلة الأرحام وكسر الأوثان).

◀ ومن تلك الحكم أيضاً: بيان أن الأخلاق سدّ منيع أمام أعداء الإسلام والسنة؛ فمن خلال إضعاف الأخلاق ينفذون إلى إضعاف الاعتقاد، وهذا ما نعاني منه في هذا العصر المتأخر -مع الأسف الشديد- فإن أعداء الله من أصحاب المذاهب الفكرية الهدامة ينفذون كثيراً إلى نفوس الشباب والفتيات من خلال إضعاف الأخلاق أولاً، ومن خلال إغراقهم في الفواحش والرذائل، ثم يترقون بهم بعد

(١) أخرجه مسلم (٥٦٩/١) ح ٨٣٢.

ذلك إلى الوقوع في الانحراف العقدي، بل قد يوقعونهم في الإلحاد والردة عن دين الله، والعياذ بالله.

◀ من تلکم الحكم أيضاً: التأكيد على أن الأخلاق الكريمة والشيم الحسنة مفتاح قبول الدعوة، فإذا التزم أهل السنة بها انفتحت أمامهم -بتوفيق الله- القلوب، فافتتح بدعوتهم المخالف، وازداد بها الموافق قناعة.

◀ ومن تلك الحكم أيضاً: التذكير بأن الآداب السامية تورث أهل السنة القوة والمنعة والاجتماع، وال ضد بال ضد؛ ﴿وَلَا تَنْزَعُوا أَنْفُسَكُمْ وَالَّذِينَ كَفَرُوا لَبِئْسَ مَا كَانُوا يَفْعَلُونَ﴾ [الأنفال: ٤٦].



قطوف من الآداب

إذا كان الخلق النبيل والأدب السامي بهذه المنزلة المنيفة؛ فيحسن التذكير بجملة من الآداب الخاصة -في المعاشرة والمجالسة والمحادثة والعيادة-، وأهم الآداب العامة؛ منتخبة من كلام أهل العلم؛ تحفيزاً للأديب، وتنبهها لليب.

[آداب المعاشرة والمجالسة والمحادثة والعيادة]

من تلکم الآداب:

❁ ليعرف جليسك ومُعاشرک أنك على أن تسمع أحرص منك على أن تقول.

❁ ولا يكن من خلقك أن تبدأ حديثاً ثم تقطعه؛ كأنه بدالك أن مصلحة السكوت مقدمة على مصلحة الكلام؛ فهلاً كان ذلك قبل أن تقول!

❁ وإذا سمعت من جليسك رأياً سديداً أعجبك؛ فلا

تحدث به بعدُ في المجالس تزيينًا به كأنه من بنات أفكارك، بل انسبه إلى صاحبه؛ فهذا من المروءة.

❁ لا تخلطن الجد بالهزل ولا الهزل بالجد، فإنك إن فعلت ذلك جعلت الجد سخيًّا، والهزل متكدرًا.

❁ إياك أن تقول لصاحبك: إنه جاهل وإنك أنت العالم!

حذار من أن تقع في هذا تصريحًا أو تلميحًا، وفي الحديث عنه صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: (بحسب امرئ من الشر أن يحقر أخاه المسلم) (١).

❁ قالت الحكماء: من الأخلاق السيئة: مغالبة الرجل في كلامه، والاعتراض فيه لقطع حديثه.

❁ إن سمعت من أحد حديثًا قد علمته، أو خبرًا قد سمعته، فلا تشاركه فيه، أو تفتح عليه فيه؛ لتظهر أنك قد علمته؛ فذلك من سوء الأدب بمحل.

(١) أخرجه مسلم (٤/١٩٨٦) ح ٢٥٦٤، باب تحريم ظلم المسلم، وخذله، واحتقاره ودمه، وعرضه، وماله.

قال عطاء بن أبي رباح - رَحِمَهُ اللهُ -: (إن الشاب ليحدثني بحديث فأستمع إليه كأني لم أسمع، ولقد سمعته قبل أن يولدا!)^(١).

ولا تُشارك في الحديث أهله *** وإن عرفت فرعه وأصله
 ✨ إذا جالست إخوانك فقل خيراً أو اصمت، والكلمة الطيبة صدقة، ومن صمت نجاء، وكفى بالمرء كذباً أن يُحدّث بكل ما سمع، والفم من أكثر ما يدخل الناس النار.

قال صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: (وإن أبغضكم إلي وأبعدكم مني مجلسا يوم القيامة: الثرثارون والمتشدقون والمتفيهقون، قالوا: يا رسول الله قد علمنا الثرثارون والمتشدقون؛ فما المتفيهقون؟ قال: المتكبرون)^(٢).

✨ تعلم حسن الاستماع كما تتعلم حسن الكلام، ومن حسن الاستماع: إمهال المتكلم حتى يقضي حديثه، والإقبال

(١) الجامع لأخلاق الراوي وآداب السامع للخطيب البغدادي (١/٢٠٠). وانظر: شعب الإيمان (٣/٢٥٩) ح ١٦١٨.
 (٢) أخرجه الترمذي (٤/٣٧٠) ح (٢٠١٨)، باب ما جاء في معالي الأخلاق.

بالوجه عليه، والنظر إليه، والوعي لما يقول.

✽ إياك في حديثك أن تعمّ قومًا من أهل بلدٍ أو قريةٍ أو قبيلةٍ بدمٍ؛ فإنك لا تدري لعلك تتناول بعض جلسائك بالشتم وأنت لا تشعر.

✽ إذا سئل غيرك فإياك أن تكون أنت المجيب؛ كأنها غنيمة تطلبها؛ فإن هذا من السفه وسوء الأدب.

قال ابن عبد البر - رَحِمَهُ اللهُ -: (ثمانية إذا أهينوا فلا يلوموا إلا أنفسهم: الذهاب إلى مائدة لم يدع إليها، و طالب الفضل من اللئام، والداخل بين اثنين في حديثهما من غير أن يُدخلاه فيه، والمستخفّ بالسلطان، والجالس مجلسًا ليس له بأهل، و المقبل بحديثه على من لا يسمع منه ولا يصغي إليه) ^(١).

✽ ما أحسن إن تحدثت أن يكون صوتك لطيفًا خفيضًا؛ فإن الجهر الزائد عن الحاجة بعيدٌ عن الأدب، لا سيما مع الأفاضل، والوالدين على وجه الخصوص.

(١) بهجة المجالس وأنس المجالس (١٧٤). هكذا في الكتاب: (ثمانية)، والمذكور: ستة!.

يقول عمر بن عبد العزيز - رَحِمَهُ اللهُ -: (بحسب الرجل من الكلام ما أسمع أخاه وجليسه).

✽ إذا دخلت مجلسًا فلا تجلس بين اثنين إلا بإذنهما، وإذا وسَّع لك والمكان ضيق فاجمع نفسك ولا تتربع، واحرص على أن تجلس حيث ينتهي بك المجلس؛ فعن جابر بن سمرة - رَضِيَ اللهُ عَنْهُ - قال: (كنا إذا أتينا النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ جلس أحدنا حيث ينتهي) ^(١).

وكان ابن عمر - رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا - إذا قام له رجل من المجلس لم يجلس في هذا المجلس ^(٢).

✽ إياك - إذا كنتم ثلاثة - أن تناجي واحدًا منهما دون الثالث.

✽ وإياك أن تستمع حديثًا لقومٍ بدون رضاهم؛ ففي البخاري عنه صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: (من استمع إلى قومٍ وهم له

(١) أخرجه الترمذي (٧٣/٥) ح ٢٧٢٥، وأبو داود (٢٥٨/٤) ح ٤٨٢٥، باب في التحلق.
(٢) أخرجه مسلم (١٧١٤/٤) ح ٢١٧٧، باب تحريم إقامة الإنسان من موضعه المباح الذي سبق إليه.

كارهون أو يفرون منه، صُب في أذنه الآنك يوم القيامة) (١).

✽ ما أقبح الجُشاء في مجلس الناس، وعند الترمذي:
 (أن رجلاً تجشأ بحضرة النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فقال: كُف
 عنا جشاءك، فإن أكثرهم شبعاً في الدنيا أطولهم جوعاً يوم
 القيامة) (٢).

وقل مثل هذا في التمخط، والبصاق، والتنخم المزعج،
 وتخليل الأسنان، والعبث بالإصبع في الأنف، وما إلى ذلك؛ فإن
 كل هذا منافٍ للذوق، باعث على نفور الآخرين واشمئزازهم.
 ✽ الحذر الحذر من الغيبة، فهي منكرة في الشرع قبيحة
 في الأدب.

والغيبة غيبةٌ وإن قلت: أنا أقول هذا أمامه ولا أخاف!

والغيبة غيبةٌ وإن دعوت للمغتاب! فالدعاء لا يبرئك من
 الغيبة كما يظنه بعضهم حين يقول: فلان -هداه الله- يفعل
 كذا ويقول كذا!

(١) صحيح البخاري (٤٢/٩) ح ٧٠٤٢، باب من كذب في حلمه. والآنك: الرصاص
 الأسود، وقيل: الأبيض، وقيل: الخالص.
 (٢) سنن الترمذي (٦٤٩/٤) ح ٢٤٧٨.

❁ احذر من الفحش وكل بذيء من القول؛ فإن الله يُغض الفحش والتفحش، قال تعالى: ﴿وَقُلْ لِعِبَادِي يَقُولُوا الَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾ [الإسراء: ٥٣].

❁ اترك الجدال؛ فإن هذا مُحَمَدَةٌ وإن كنت محقًّا، وفي الحديث السابق: (أنا زعيم ببيت في ربض الجنة لمن ترك المراء وإن كان محقًّا).

وقد قالوا: رأس المداراة: ترك المماراة.

❁ كثرة الضحك تيمت القلب - كما ثبت عنه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ^(١) - .

وأقبح منه: إضحاك الآخرين بالكذب، وفي الحديث عنه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: (ويلٌ للذي يحدث فيكذب ليضحك به القوم، ويل له، ويل له)^(٢).

(١) أخرجه الترمذي (٥٥١/٤) ح ٢٣٠٥، باب: من اتقى المحارم فهو أعبد الناس، وابن ماجه (١٤٠٣/٢) ح ٤١٩٣، باب الحزن والبكاء.
(٢) أخرجه أبو داود (٢٩٧/٤) ح ٤٩٩٠، باب في التشديد في الكذب، وهو عند الترمذي (٥٥٧/٤) ح ٢٣١٥، باب فيمن تكلم بكلمة يضحك بها الناس، والنسائي في الكبرى (٣٢٧/١٠) ح ١١٥٩١، باب سورة المطففين.

✽ من القبيح في الأدب: أن تبدي رأيك في كل صغيرة وكبيرة، وأن تستأثر بالحديث دون الآخرين، وأن تكثر الحديث عن نفسك ومفاخرك .

✽ التسرع في نشر الأخبار قبل التثبت منها، وقبل التحقق من جدوى نشرها - إن صحت-: سَفَهُ وخِفَةٌ وطيشٌ^(١).

✽ المزاح حسنٌ، والإقلال منه أحسن.

ومن المزاح المنكر: إخفاء متاع الإنسان بزعم مداعبته!

وهذا يفعله بعض الناس وهو جذلان، ويغفل عن أنه قد وقع في إثم؛ فقد قال صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: (لا يأخذ أحدكم متاع صاحبه لا لاعبًا ولا جادًا، وإذا أخذ أحدكم عصا صاحبه فليردها إليه)^(٢).

✽ إن بشاشتك ولينك وتوددك لمن تلقى أو تجالس أدبٌ رفيع وأجرٌ وافر.

(١) فليتنبه أصحاب وسائل التواصل الاجتماعي (واتس أب، تويتر، فيس بوك ..)!
 (٢) أخرجه أحمد (٤٦٠/٢٩) ح ١٧٩٤٠، والترمذي (٤٦٢/٤) ح ٢١٦٠، باب ما جاء لا يحل لمسلم أن يروع مسلماً، وأبو داود (٣٠١/٤) ح ٥٠٠٣، باب من يأخذ الشيء على المزاح.

قال صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: (تبسمك في وجه أخيك صدقة) ^(١).

وقال صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: (لا تحقرن من المعروف شيئاً ولو أن تلقى أخاك بوجه طلق) ^(٢).

أُبْنِي إِنْ الْبَرَّ شَيْءٌ هَيْئُ *** وَجَهُ طَلِيقٌ وَكَلَامٌ لَيْنٌ
 قيل لبعضهم: إنك تلقى الناس كلهم بالبشر! فقال: دفعُ
 ضغينةٍ بأيسر مؤنة، واكتسابُ إخوانٍ بأيسر مبدول.

✽ إن للكبير حقه في الماشاة والمجالسة والمحادثة.

والكبير: هو الكبير في علمه وإن كان صغير السن، وهو
 أيضاً الكبير في سنه وإن لم يكن من أهل العلم.

فأعطِ الكبير حقه من الاحترام والتقدير؛ فاستمع إليه
 بإنصات، وتلطف في خطابه، وابدأ به في الإكرام؛ فعنه
 صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أنه قال: (من لم يرحم صغيرنا ويجلّ كبيرنا
 فليس منا) ^(٣)، وقال: (ليس منا من لم يرحم صغيرنا ويوقر
 كبيرنا) ^(٤)، وقال: (إن من إجلال الله تعالى: إكرام ذي الشيبة

(١) أخرجه الترمذي (٤٠٤/٣) ح ١٩٥٦، باب ما جاء في صنائع المعروف.

(٢) أخرجه مسلم (٢٠٢٦/٤) ح (٢٦٢٦)، باب استحباب طلاقة الوجه عند اللقاء.

(٣) أخرجه البخاري في الأدب المفرد (١٣٠) ح ٣٥٦.

(٤) أخرجه الترمذي (٣٢١/٤) ح ١٩١٩.

المسلم) (١).

قال طاووس بن كيسان -التابعي الجليل، عليه رحمة الله:-
(إن من السنة أن يُوقَّر أربعة: العالم، وذو الشيبة، والسلطان،
والوالد، وإن من الجفاء أن يدعو الرجل أباه باسمه) (٢).

✽ من الأدب: الحرص على مساواة القرين في المجلس،
قال بعضهم:

وإذا جلستَ وكان مثلك قائماً *** فمن المروءة أن تقوم وإن أبى

وإذا تكأتَ وكان مثلك جالساً *** فمن المروءة أن تنزل المتكأ

وإذا ركبتَ وكان مثلك ماشياً *** فمن المروءة أن مشيتَ كما مشى

✽ إياك أن تلتقى أخاك أو تجالسه إلا وأنت في أحسن حالة
وأجمل حُلَّة؛ باسم الثغر، نظيفاً، طيب الرائحة، حسن الهندام،
متناسق الثياب؛ فإن الله يحب النظافة والجمال، ويبغض
الفحش والتفحش.



(١) أخرجه أبو داود (٢٦١/٤) ح ٤٨٤٣، باب في تنزيل الناس منازلهم.

(٢) جامع معمر بن راشد (١١/١٣٧) ح ٢٠١٣٣.

[من آداب عيادة المريض]

إن مرض أخوك فعدته فلا تغفل عن آداب عيادته؛ لتكون زيارتك نافعة جالبة للسرور.

من تلکم الآداب:

✽ نقاء الثوب، وحسن النظافة، وطيب الرائحة، وبذا تنشرح نفس المريض لرؤياك.
ولا تبالغ في التطيب لئلا تؤذيه.

✽ قال ابن عباس - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا -: (كان النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إذا عاد مريضاً جلس عند رأسه) أخرجه البخاري في (الأدب المفرد) ^(١).

✽ ومن الأدب أن تسأله عن حاله، لكن لا تستخبر عن مرضه استخبار مستقص، فلربما كان لا يرغب في الإفصاح عن مرضه.

(١) الأدب المفرد (ص: ١٨٩) ح ٥٣٦، باب أين يقعد العائد.

❁ ولا تنس الدعاء له؛ فقد قال صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: (إذا حضرتم المريض -أو الميت- فقولوا خيراً؛ فإن الملائكة يؤمنون على ما تقولون) (١).

❁ ويحسن بك أن ترقيه؛ فإن هذا اتباعٌ للسنة عنه صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وكان النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إذا مرض أحدٌ من أهله نفث عليه بالمعوذات (٢).

❁ ولا يحسن بالعائد أن ينقل الأخبار السيئة إلى المريض؛ لئلا يكدر صفوه، ويغم نفسه، وإنما المطلوب: المُلحَة والطرفة والكلام الشهي.

❁ ولا ينبغي إطالة الجلوس عند المريض إلا إذا ألح.

وقد قالوا: عيادة المريض كجلسة الخطيب.

قال بعضهم:

أدب العيادة أن تكون مسلماً *** وتكون في أثر السلام مودّعا

(١) أخرجه مسلم (٦٣٣/٢) ح ٩١٩، باب ما يقال عند المريض والميت.

(٢) أخرجه مسلم (١٧٢٣/٤) ح ٢١٩٢، باب رقية المريض بالمعوذات والنفث.

وقال آخر:

حسن العيادة يومٌ بين يومين ** واقعد قليلا كمثل اللحظ بالعين

لا تبرمنّ عليلاً في مساءلةٍ ** يكفيك من ذاك تسأله مجرفين

يقول ابن عبد البر - رَحِمَهُ اللهُ -: (أفضل العيادة أخفها،

ولا يطيل العائد الجلوس عند العليل، إلا أن يكون صديقاً

يأنس به ويسره ذلك منه) ^(١).



(١) الكافي في فقه أهل المدينة (٢/١١٤٢).

[بعض الآداب العامة]

تلك بعض الآداب الخاصة التي يحسن مراعاتها في معايشة الناس ومجالستهم ومحادثتهم، وثمة آداب عامة يحسن استعمالها مع الآخرين، ومنها:

❁ من رام استقامة سلوكه، وحسن تعامله: فليصحب ذا الفضل والدين والخلق؛ فإن صاحب صاحب.

وأن يشاور ذا العقل والحكمة؛ فلن يعدم حين ذلك: السداد أو المقاربة؛ فإن العاقل إذا شاورته أعطاك لُبَاب عقله، وصفو رأيه، وخالص نظره.

شاور سواك إذا نابتك نائبة *** يوماً، وإن كنت من أهل المشورات

فالعين تلقى كيفاً ما نأى ودنا *** ولا ترى نفسها إلا بمرآة

وقد قيل: إن الأمور لا تُدرك بالرأي المفرد؛ فليستعين

مكدودٌ بوادع، ومشغولٌ بفارغ.

✽ احرص على أن توقّر من فوقك، وأن تلين لمن دونك، وأن تحسن مؤاتاة أكفائك.

واعلم أنه لا يوجد الفخور محموداً، ولا الغضوب مسروراً، ولا الشّرهِ غنياً، ولا الملول ذا إخوان.

✽ احذر صحبة الجاهل الأحمق؛ فإنه عدو نفسه، فكيف يكون صديقاً لغيره!؟

✽ ليعرف الناس عنك أنك أن تفعل ما لا تقول أقرب من أن تقول ما لا تفعل.

✽ لا تحرص على الاعتذار إلا لمن يجب أن يجد لك عذراً، وإن اعتذر إليك أحداً فقابله بوجه مشرق^(١).

✽ وإذا كان لك على أحد يدٌ أو صنعتَ إليه معروفًا؛ فالتمس إحياء ذلك بإماتته، وتعظيمه بتصغيره.

✽ إن استطعت أن تضع نفسك -دائمًا- دون مكانك برتبة -في مجلس ومقام ومقال- فافعل.

(١) إلا أن يكون ممن قطيعته غنيمة!

✽ كن جاداً حازماً.

وإذا تراكمت عليك الأمور فلا تلمس التخفيف عن نفسك بالروغان عنها ومدافعتها يوماً بعد يوم؛ فإنه لا راحة لك إلا بإنجازها.

وابدأ بالأهم فالهم، واعلم أن اشتغالك بغير المهم مُضِرٌّ بالمهم، ومن تكلف ما كُفي ضيِّع ما وُلِّي.

✽ قال الحكماء: من نظر في أحواله، وحزم في أفعاله، وقسط في أحكامه، واقتصد في وفوره وإعدامه: فقد أُعطي الخير بتمامه.

✽ إن استطعت أن تفتقر إلى الناس وأن تستغني عنهم في آن واحد فافعل.

أمَّا افتقارك إليهم: فإلين كلمتك وحسن بشرك.
وأمَّا الاستغناء عنهم: فببقاء عزك وترك الحاجة إليهم.

✽ احرص على متابعة أهل الفضل، والافتداء بأهل العقل

والنبل، واجتنب رعونات أهل النقص والجهل؛ فبذا تتحلى
بحسن الشمائل، وتسبق في مضمار الفواضل.

إذا أعجبتك خلال امرئ *** فكُنْهُ تكن مثل ما يعجبك
فليس على الخير والمكرمات *** إذا جئتها حاجبٌ يحجبك

✽ إن التغافل حُلُقٌ شريف، والمراد به: غصّ الطرف عن
سقطات الإخوان، ما لم يتعارض ذلك مع الشرع.

قال أكثم بن صيفي - رَحِمَهُ اللهُ -: (من شَدَّدَ نَفْسًا، ومن تراخى
تَأَلَّفَ، والسرور في التغافل) ^(١).

وروى البيهقي عن عثمان بن زائدة قال: (العافية عشرة
أجزاء، تسعة منها في التغافل. قال: فحدثت بهذا أحمد بن
حنبل فقال: العافية عشرة أجزاء، كلها في التغافل!) ^(٢).

ومن لم يغمض عينه عن صديقه *** وعن بعض ما فيه يمت وهو عاتبُ
ومن يتتبع جاهدًا كل عثرَةٍ *** يجدها، ولا يسلم له الدهر صاحبُ

(١) بهجة المجالس (٦٦٤)، وفي أدب الدنيا والدين للماوردي (١٨٠): والشرف في التغافل.

(٢) شعب الإيمان (١٠/٥٧٥) رقم ٨٠٢٨.

✽ المسامحة خلق رفيع، ودليل على سمو النفس.

تسامح، ولا تستوفِ حَقَّك كله *** وأبق، فلم يستقصِ قَطُّ كريمٌ

✽ إياك أن تبذل وأنت متعالٍ، أو تعطي وأنت

مكفهرّ الوجه.

منع العطاء وبسط الوجه أجمل من *** بذل العطاء بوجهٍ غير منبسطٍ

✽ المنع بعد الوعد: سلوكٌ مردول؛ فجانبه.

قالوا: أقبح الكلام: «لا» بعد «نعم»!

من قال «لا» في حاجةٍ *** مطلوبَةٍ فما ظلم

وإنما الظالم من *** يقول «لا» بعد «نعم»

✽ إياك أن تأخذك العزة بالإثم فتتكبر عن الحق.

والرجوع إلى الحق خير من التماذي في الباطل.

والترجع عن العثرة محمداً لا مذمة.

والاعتذار إلى من أخطأت في حقه بلسم الجروح، ولا يقدر
عليه إلا أهل الشرف.

داوِبلين ما جرحت بلفظة *** فطيب كلام المرء طبّ كلامه

✿ إن الإنصاف خلق عزيز، فضع الأمور في نصابها، وأنزلها
منازلها دون إفراط أو تفريط.

واحرص على أن لا يدخلك الرضا في باطل، ولا يخرجك
الغضب عن حق.



[نصيحة أب لابنه - وصية الخطاب بن المعلی]

من الوصايا البديعة المشتملة على غرر من الآداب الحميدة:
وصية الخطاب بن المعلی المخزومي الدمشقي - رَحِمَهُ اللهُ، وكان
حكيمًا ذا رأي - لابنه ^(١).

فهي - بحق - أنيقة الرصف، بليغة المعنى.

ويحسن تحلية المقام بسوق جُمَل من دررها، وانتخاب
طرائف من لطائفها.

(١) أوردها ابن حبان في روضة العقلاء ونزهة الفضلاء (١٩٨-٢٠٤) تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد، (٧٤٩-٧٥٨) تحقيق عبد العليم درويش.
قال ابن عساکر في تاريخ دمشق (١٦/٤٥٦): (الخطاب بن المعلی الدمشقي، وكان أديباً حكيمًا، أوصى ابنا له وصية حسنة رويت عنه).
وقد قال - رَحِمَهُ اللهُ - في مطلعها: (يا بني عليك بتقوى الله وطاعته، وتجنب محارمه باتباع سنته ومعالمه؛ حتى تصح عيوبك وتقر عينك، فإنها لا تخفى على الله خافية، وإني قد وسمت لك وسمًا، ووضعت لك رسمًا؛ إن أنت حفظته ووعيته وعملت به ملأت أعين الملوك، وانقاد لك به الصلوك، ولم تزل مرتجى مشرفًا، يُحتاج إليك ويُرغب إلى ما في يديك؛ فأطع أباك، واقتصر على وصية أبيك، وفرغ لذلك ذهنك، واشغل به قلبك ولَبَّك).

هكذا العقلاء؛ أحرص ما يكونون على تأديب أبنائهم، وتعاهدهم بالوصية حيناً بعد حين، وإلا فإن إهمالهم وترك الجبل لهم على الغارب مؤذن بشرور كثيرة.

قال - رَحِمَهُ اللهُ -:

(إياك وهذر الكلام، وكثرة الضحك والمزاح، ومهازلة الإخوان؛ فإن ذلك يذهب البهاء، ويوقع الشحناء، وعليك بالرزانة والتوقر من غير كبر يُوصف منك، ولا خيلاء يُحكى عنك.

والقّ صديقك وعدوك بوجه الرضا، وكف الأذى، من غير ذلةٍ لهم، ولا هيبة منهم.

وكن في جميع أمورك في أوسطها، فإن خير الأمور أوسطها.

وقلّل الكلام، وأفشّ السلام، وامش متمكناً قصداً، ولا تحطّ برجلك، ولا تسحب ذيلك، ولا تلوّ عنقك ولا ردائك، ولا تنظر في عطفك.

ولا تكثر الالتفات، ولا تقف على الجماعات، ولا تتخذ السوق مجلساً، ولا الحوانيت مُتحدّثاً.

ولا تكثر المراء، ولا تنازع السفهاء.

فإن تكلمت فاخصر، وإن مزحت فاقتصر، وإذا
جلست فتربع.

وتحفظ من تشبيك أصابعك وتفقيعها، والعبث بلحيتك
وخاتمك وذؤابة سيفك، وتخليل أسنانك، وإدخال يدك في
أنفك، وكثرة طرد الذباب عنك، وكثرة التثاؤب والتمطي،
وأشبه ذلك مما يستخفه الناس منك ويغتمزون به فيك.

ليكن مجلسك هادئًا وحديثك مقسومًا، وأصغ إلى الكلام
الحسن ممن حدثك من غير إظهار عجب منك، ولا مسألة
إعادة، وأغص عن الفكاهات من الضواحك والحكايات.

ولا تُحدِّث عن إعجابك بولدك ولا جاريتك ولا عن فرسك
ولا عن سيفك.

ولا تلح في الحاجات، ولا تخشع في الطلبات، ولا تُعلم أهلك
وولدك -فضلا عن غيرهم- عدد مالك؛ فإنهم إن رأوه قليلا
هنت عليهم، وإن كان كثيرا لم تبلغ به رضاهم، وأخفهم في
غير عنف، ولين لهم في غير ضعف.

ولا تكثر الإشارة بيدك، ولا تحفّز على ركبتيك، وتوق حمرة
الوجه، وعرق الجبين.

وإن سَفِه عليك فاحلم، وإن هدا غضبك فتكلم.

وأكرم عرضك، وألق الفضول عنك.

وإذا أوعدت ^(١) فحقق، وإذا حدثت فاصدق، ولا تجهر
بمنطقك كمنازع الأصم ^(٢)، ولا تخافت به كمخافتة الأخرس.

وتختر محاسن القول بالحديث المقبول، وإذا حدثت بسماع
فانسبه إلى أهله.

وإياك والأحاديث العابرة المشنعة التي تنكرها القلوب،
وتقف ^(٣) لها الجلود.

وإياك ومضعف الكلام مثل: نعم نعم، لا لا، عجل عجل،
وما أشبه ذلك.

(١) هكذا في نسخة درويش، وفي نسخة محيي الدين: وعدت.

(٢) أي لا ترفع صوتك كأنك تحادث رجلاً أصم.

(٣) أي تقشعر.

ولا تعضّ نصف اللقمة ثم تعيد ما بقى منها منصغاً؛
فإن ذلك مكروه.

ولا تعب شيئاً مما فُرب إليك على مائدةٍ بقلةٍ خلٍّ أو تابلٍ أو
عسلٍ؛ فإن السحابة قد صيرت لنفسها مهابة^(١).

ولا تمسك إمساك المثبور، ولا تبذر تبذير السفية المغرور.

واعرف في مالك واجب الحقوق، وحرمة الصديق، واستغن
عن الناس يحتاجوا إليك.

واعلم أن الجشع يدعو إلى الطبع^(٢)، والرغبة - كما قيل -
تدق الرقبة، ورُبَّ أكلةٍ تمنع أكلات!

والتعفف مالٌ جسيم، وخلق كريم.

ومعرفة الرجل قدره تشرف ذكره^(٣)، ومن تعدى القدر

هوى في بعيد القعر.

(١) أي لما ارتفعت السحابة عن السفاسف كانت ذات مهابة؛ فهكذا ينبغي أن
تترفع عن الكلام الذي لا حاجة لك به، أو لا يليق بك.

(٢) أي الشين والعيب.

(٣) في نسخة درويش: تزيد عزّه.

والصدق زين، والكذب شين، ولصدق يُسرِع عطب صاحبه
أحسن عاقبة من كذبٍ يسلم عليه قائله.

ومعاداة الحليم خير من مصادقة الأحمق، ولزوم الكريم على
الهوان خير من صحبة اللئام على الإحسان.

تشبّه بأهل العقل تكن منهم، وتصنّع للشرف تدركه،
واعلم أن كل امرئ حيث وضع نفسه، وإنما يُنسب الصانع إلى
صناعته، والمرء يُعرف بقريته.

وإياك وإخوان السوء فإنهم يخونون من رافقهم، ويُحزنون
من صادقهم، وقربهم أعدى من الجرب، ورفضهم من
استكمال الأدب.

وإخفار^(١) المستجير لؤم، والعجلة شؤم، وسوء التدبير وهن.

والإخوان اثنان: فمحافظ عليك عند البلاء، وصديق لك
عند الرخاء؛ فاحفظ صديق البلاء، وتجنب صديق العافية،
فإنه أعدى الأعداء.

ومن اتبع الهوى مال به الردى.

(١) الخفارة: الأمان والذمة، والإخفار: نقض عهد المستجير وذمامه وعدم الإيفاء به.

ولا تجعل مالك أكرم عليك من عرضك، ولا تكثر الكلام
فتثقل على الأقوام، وامنح البشر جليسك والقبول ممن لا قاك.
وكن متقرباً متعززاً، منتهزاً في فرصتك، رقيقاً في حاجتك،
متثبتاً في حملتك، والبس لكل دهر ثيابه، ومع كل قوم شكلهم.
واحذر ما يلزمك اللائمة في آخرتك، ولا تعجل في أمر
حتى تنظر في عاقبته، ولا ترد حتى ترى وجه المصدر.
ومنازعتك اللئيم تطمعه فيك، ومن أكرم عرضه أكرمه
الناس، وذم الجاهل إياك أفضل من ثنائه عليك.
ومعرفة الحق من أخلاق الصدق.

والرفيق الصالح: ابن عم.

والحمق داء لا شفاء له، والحلم خير وزير، والدّين أزين
الأمر، والسماجة ^(١) سفاهة، والسكران شيطان، وكلامه
هذيان، والشعر من السحر، والتهدد هُجر ^(٢)، والشح

(١) في نسخة: الشماتة.

(٢) أي فُحش وقبيح من القول.

شقاء، والشجاعة بقاء، والهدية من الأخلاق السرية^(١)،
وهي تورث المحبة.

ومن ابتداءً المعروف صار معروفة دِينًا، ومن المعروف
ابتداءً من غير مسألة.

والعادة طبيعة لازمة؛ فإن خيرًا فخير وإن شرًا فشر، ومن
حلَّ عقْدًا احتمل حقْدًا.

وشر الرجال: كثير الاعتلال؛ وحسن اللقاء يذهب
بالشحناء، ولين الكلام من أخلاق الكرام.

جعلك الله يا بني ممن يقتدي بالهدى، ويأتمّ بالتقى،
ويجتنب السخط، ويجب الرضا، والله خليفتي عليك والمتولي
لأمرك، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم).



(١) أي النفيسة.

[خاتمة .. وثلاث وصايا]

وبعد .. فأوصيك -يا رعاك الله- بثلاث وصايا:

أما الأولى: فأن تأخذ نفسك بما علمت من جميل الآداب
وعذب السجايا، وأن تبادر دون تأخير أو ملل؛ فإن حياتك بها
ستضحى أكثر سعادة وإشراقًا، وستفوز -بتوفيق الله- بالأجر
الوافر، ولسان الصدق في الآخرين.

واعلم أنك إن عاجلت نفسك على الاستمساك بها وصبرت
وثابرت، فستصبح الآداب لك ملكة راسخة، وعادة مستحكمة؛
فكثرة المران -كما قالوا- تُحيل العاجز ذا قدرة.

ويا حبذا لو جعلت الأدب مادة تدرُسها وتتجول بين
أفيائها ومؤلفاتها ^(١).

(١) المصنفات في ذا الباب كثيرة؛ كالأدب المفرد للبخاري، والآداب الشرعية لابن مفلح، وغذاء الألباب شرح منظومة الآداب للسفاري، وروضة العقلاء لابن حبان، وبهجة المجالس لابن عبد البر، وأدب الدنيا والدين للماوردي، والأخلاق والسير لابن حزم، ومكارم الأخلاق للخرائطي، وغيرها كثير. كما أن المؤلفات المعاصرة حمة ولله الحمد.

الوصية الثانية: إن استعمال الأدب والتعامل الراقي إذا كان مطلوبًا منك تجاه الناس جميعًا؛ فهو يتأكد تجاه الأقربين، لا سيما الوالدين والزوجة والأولاد وبقيّة القرابة.

فما أقبحه من إنسان؛ ذاك الذي خيره للأبعدين، وشره للأقربين!

الوصية الثالثة: الله الله في العناية بتأديب الأبناء، وتنشئتهم على الخلال الكريمة، والذوق الرفيع؛ فإن هذا أحسنُ فحْلة يُنحَلونها، وخيرُ ذخرٍ يوضع فيهم.

فاصبر على تأديب أولادك، واغتنم بواكير أعمارهم.
لا تسه عن أدب الصغير *** وإن شك أَلَم التعب
ودع الكبير لشأنه *** كبر الكبير على الأدب

وقال الشاعر:

إن الغصون إذا قومتها اعتدلت *** ولا يلين إذا قومته الخشبُ

اللَّهُمَّ سدد ألسنتنا، واهدِ قلوبنا، واسل سخيمة صدورنا،
ويسرنا لليسرى، وجنبنا العسرى، ووقفنا وأهلينا وذرياتنا
لأحسن الأخلاق، واصرف عنا وعنهم سيئها، يا سميع الدعاء.
وصلى الله وسلم وبارك على عبده ورسوله نبينا محمد، وعلى
آله وأصحابه وأتباعه بإحسان.



الفهرس

- ٥ مقدمة
- ٦ أنواع الأدب
- ٩ فضل الأدب والخلق الحسن
- ١٥ بين العقيدة والأخلاق
- ١٨ قطوف من الآداب
- ١٨ آداب المعاشرة والمجالسة والمحادثة والعيادة
- ٢٨ من آداب عيادة المريض
- ٣١ بعض الآداب العامة
- ٣٧ نصيحة أب لابنه - وصية الخطاب بن المعلى
- ٤٥ خاتمة .. وثلاث وصايا
- ٤٨ فهرس الموضوعات